

## وسائل الإعلام: فعلت أم لم تفعل شيئاً!

حركة النهضة التونسية راشد الغنوشي الذي أطيح به، بعد قرارات الرئيس قيس سعيد بتجميد البرلمان وإقالة الحكومة.

قناة الجزيرة القطرية صنعت نماذجها من بينهم الغنوشي بوصفه الحجر العميقة في تونس ومجتمع الإسلام السياسي، والمثير للمفارقة أن الغنوشي بعد الإفطحة به عبر عن استيائه من وسائل الإعلام وحملها مسؤولية ما حصل في تونس!

لذلك يبدو واضحاً أن الذين يستخدمون عبارة "وسائل الإعلام الرئيسية" لديهم فقط فهم فضفاض مشترك للواقع، في أحسن الأحوال. ومع ذلك نستمر في استخدام المصطلح نفسه لوصف ظاهرة تبدو مؤكدة ومتجددة، ولكنها في الواقع غير متبلورة.

وتعزو سافانا جاكوبسون

الكاتبة الأميركية المتخصصة في

تحليل أنظمة الخطاب الإعلامي،

التباس مصطلح "وسائل الإعلام

السائدة" إلى نظام المعلومات

الفوضوي الذي نحن فيه. فتدقق

المعلومات اليوم بفوق حاجة وقدرة

البشر على الاستقبال.

كرم نعمة  
كاتب عراقي  
مقيم في لندن

يمكن استعادة جملة عالم

اللسانيات الأميركي نعوم

تشومسكي "وضعت وسائل الإعلام

النخبوية إطاراً يعمل من خلاله

الأخرون، هذا الإطار الذي يعمل

بشكل جيد، من الواضح أنه مجرد

انعكاس لهيكل السلطة". مع

السؤال الذي غالباً ما يصعد إلى

الواجهة مع كل حدث سياسي يحدث

تغييراً جذرياً، بان وسائل الإعلام لم

تفعل شيئاً، تقابله أصوات أقل ثقة

بكلامها بالقول: لا، إنها فعلت شيئاً!

علينا أن نفهم، أن كل واحد منا

لديه رايه بشأن فعلت أو لم تفعل

شيئاً وسائل الإعلام، لكن السؤال

سببها قائماً، وليس بمقدور

أكبر المؤسسات الإعلامية عالية

المسؤولية، أن تزعم أنها قادرة على

الإجابة الحاسمة.

تشومسكي يفسر ذلك في البناء

على نموذج العداية للتواصل.

بان وسائل الإعلام الأميركية

تسمح بالمناقشة الحماسية والنقد

والمعارضة، طالما بقيت ضمن نظام

الافتراضات والمبادئ التي تشكل

إجماع النخبة، وهو نظام قوي

لغاية بحيث يمكن استيعابه إلى

حد كبير دون وعي.

أو "صناعة الموافقة" لوصف

تأثير وسائل الإعلام حسب تعبير

الصحافي والكاتب الأميركي الراحل

والتر ليبمان مبتكر مصطلح

"الحرب الباردة".

استفادت كثيراً قناة الجزيرة

من هذا البناء وقدمت نموذج أعمال

إعلامي للعالم العربي، فيما فشلت

في نسختها الإنجليزية لأنها كررت

ما هو متاح للمشاهد الغربي بوجود

المئات من البدائل أمامه.

مع ذلك لم تفلت الجزيرة من فخ

السقوط المريع مع قوة الاستقطاب

التي عملت عليها، كما يظهر ذلك

في التهرج والصرخ وغياب

الحساسية وعدم المسؤولية التي

يمثلها برنامج "الاتجاه المعاكس".

ثمة تعريف أكاديمي شائع

لوسائل الإعلام "اعتقد بتنا اليوم

بحاجة إلى تغييره" يقول "إن

وسائل الإعلام هي جهات فاعلة

تمارس سلطة على الخطاب" الأمر

الذي يستحضر صورة معينة متعلق

بطريقة أسود، أبيض، صحيح،

خاطئ، مستقل، خاضع، خدمة

سياسية مدفوعة الأجر، حرية تبادل

المعلومات مع الجمهور.

وتحضر مع كل هذا الكلام

الشركات والأحزاب والقوى

السياسية والحكومات التي تسيطر

على وسائل الإعلام.

ومثل هذا الحال مفيد بالنسبة

إلى شيريل كيندي هايدل أستاذة

الصحافة في جامعة ولاية لويزيانا

الأميركية، التي ترى أن مصطلح

"وسائل الإعلام السائدة" يبقى

مفيداً طالما أن الصحافة تعاني من

مشكلة الاتفاق على مضمون الأخبار،

بوجود أشخاص بأهداف ومواقف

يتملكون سلطة القرار، حتى

الصحافيين لا يمكن لهم أن يصنعوا

خطاباً موحداً جامعاً للرأي العام.

بالطبع مثل هذا الرأي مختلف

عليه، ولا يمكن لنا جميعاً أن نتفق

معه.

وتبدو تسمية وسائل الإعلام

السائدة "سائدة تعني عند البعض

شعبية" ملتبسة وواسعة لدرجة

لا يمكن أن تعني أي شيء. لأن

جوهر فكرة الإعلام لم تبين على

مراسل عشوائي قال جملة على

تويتر وذهب، أو حتى برنامج

تلفزيوني شهير يحظى بمتابعة

مليونية. لا يمكن أن نقول إن الإعلام

هو صحيفة نيويورك تايمز على

أهميتها وانتشارها، ولا الغارديان

البريطانية أو هيئة الإذاعة

البريطانية "بي.بي.سي".

هذا ينطبق اليوم على قناة

الجزيرة القطرية، وإن كانت الأكثر

مشاهدة. ففي يوم ما كان الانطباع

السائد أنها من صنعت ثورات

الربيع العربي، لكنها اليوم وبكل

تأثيرها تقف عاجزة خلف رئيس

# الإعلام الغربي يستفيد من انتقائية نظيره العربي في عرض محتوياته

## المنابر المصرية لا تستغل القواعد المهنية للإعلام الغربي في حق الرد



الصحافة المحلية لم تستخدم الانتقائية بصورة تخدم توجهاتها

الكامل أمر غير منطقي، لكن الإعلام المحلي لا يجيد التعامل مع حالة التضخ التي وصلت إليها الصحف الغربية بسبب أزمات مهنية قادت إلى ضعف أداءه. وأضاف في تصريحات لـ "العرب" أن "الإعلام المصري لا يستغل القواعد المهنية الحاكمة للإعلام الغربي في الرد على ما يثار ضد الدولة، إذ أن الصحف العالمية لا يمكنها تجاهل أي رد يصل إليها، باعتبار أن ذلك حق أخلاقي وإنساني وقانوني، وغالباً ما تكون الردود الصادرة عن هيئات رسمية وركبنة وفضفاضة ولا توازي احترافية المحتويات التي تنتقد الأوضاع في مصر".

ولفت إلى أن المعضلة الكبرى تكمن في أن وسائل الإعلام العربية تتعامل مع الانتقادات الموجهة إلى الحكومات باحترام، فيجري نشر جزئية قصيرة من تقرير كامل للتأكيد على كذب ادعاءات الصحف الغربية، في حين أن هذا الإجراء لا يتناسب مع الكلي قد يكون مقبولاً، وعادة لا تنشر وسائل الإعلام العربية المادة المنشورة في الإعلام الغربي بأكملها، ما بعد تشويهها للرسالة الإعلامية.

ويذهب خبراء إعلام للتأكيد على أن القائم بالاتصال حينما ينشر رسالة مجتزأة يجعل من نفسه وصياً على المجتمع، لأنه يقدم بعضه ويلغي البعض الآخر، كما أن هذه الرسالة تخلق حالة من الكراهية والرفض بلا مبرر منطقي.

ولا ينفي الخبراء أن بعض وسائل الإعلام الغربية تكون محملة بتوجهات سياسية غير بريئة، وهو ما يستدعي الرد عليها إعلامياً وليس مهاجمتها والتعامل معها على أنها أكاذيب ومؤامرات، فهذه اللهجة غير مقنعة للجمهور الغربي وتؤدي إلى مردودات سلبية.

وبشدة سلطة ضبط السمعي - البصري على ضرورة "الامتثال للقواعد المهنية والتحلّي بالتوازن والموضوعية في التغطية، والدقة في تحري الأخبار والصور قبل نشرها"، خصوصاً عندما تشكل وسائل التواصل الاجتماعي "مصدراً رئيسياً للمعلومة". وأشارت إلى أن جميع القائمين على نشرات الأخبار والبرامج الإخبارية مدعوون إلى "تفادي خطابات التهويل والترويع".

ورغم ارتفاع عدد الوفيات في الجزائر إلا أن الحكومة تطلب من الإعلام التركيز على حالات الشفاء. ونكرت السلطة في بيانها "حقيقة" تصر البلاد بظروف صحية استثنائية على غرار باقي بلدان العالم، لكن إغفال حالات التشافي وما تحققة الأطقم الطبية من نتائج في مكافحة الوباء قد يمس بمعنويات المواطن ويضر بها".

مكرر الأمر نفسه مرات عديدة، إذ أن التقارير التي كانت ترصد الأوضاع الاقتصادية المتردية من جانب وكالة بلومبرغ ورويترز حتى العام 2017، جرى التعامل معها على أنها مؤامرة لخدمة الإخوان وجماعات الإسلام السياسي. وعندما تغيرت نظرة هذه المؤسسات للاقتصاد المصري في العام 2019 تحديداً، أصدرت الحكومة المصرية تقريراً رسمياً للتأكيد على نجاحاتها استشهدت فيه بالأرقام التي نشرتها وكالات وصحف غربية. وأوضح المركز الإعلامي لمجلس الوزراء المصري في تقرير نشره مؤخراً أن نظرة بلومبرغ للاقتصاد تغيرت من السلبية إلى الإيجابية، وأبرز تصنيف الوكالة الأميركية لمصر ضمن أسرع 10 اقتصادات نمواً في العالم خلال عام 2020، وأنها سجلت ثاني أعلى معدل نمو اقتصادي في العالم بنسبة 3.6 في المئة.

ويقع الإعلام المحلي في أزمة الانتقائية التي لم يعالجها بصورة تخدم توجهاتها، لأن الحرب الدبلوماسية التي خاضتها مصر مع الدول التي رفضت الاعتراف بثورة الثلاثين من يونيو 2013 دفعت إلى توجيه الأدوات الإعلامية التي تمتلكها للتعامل مع الحصار الغربي ولم تفصل بين ما هو سياسي وبين ما هو مهني، وجرى التعاطي مع كافة المضامين التي وجهت انتقادات، بالحق أو الباطل، على أنها جاءت في إطار الحرب السياسية.

وواجهت الكثير من الصحف والقنوات الفضائية مشكلات عدة حينما اختلفت النبرة بعد النجاحات الاقتصادية التي اعترفت بها مؤسسات دولية أخيراً وكان لزاماً على الإعلام الغربي أن يشير إليها باعتبارها نموذجاً إيجابياً وسط أزمات اقتصادية ومعيشية تعرضت لها

وتأتي الأزمة من أن الرد الإعلامي من قبل الوزارة نفى الاتهامات دون تقديم ما يثبت كذب الشهادات في التقرير، وهو ما يجعل إلى مشكلة أخرى ترتبط بعدم وجود مهارات لدى المكاتب والهيئات الإعلامية الموجودة في جهات حكومية للتعامل بحرفية مع "المزاعم الصحافية".

وأشار رئيس تحرير صحيفة "فيتو" عصام كامل إلى أن الأسهل دائماً بالنسبة إلى وسائل الإعلام الحديث عن المؤامرة والرؤية الأحادية، وهذا ليس معناه أن كل ما تنقله من وسائل إعلام غربية يخضع لمعايير مهنية شفاف، لأن الحيا

تجاه المشاهد وعدم التركيز المفرط على الأخبار السلبية والقصص الإخبارية المساهمة التي يتسبب فيها وباء كوفيد -19".

واعتبرت أن هذا النوع من الأخبار يؤدي إلى "بث الذعر والخوف واليأس في أوساط المجتمع، الأمر الذي يصعب معالجة الوضع".

وتوصف الكثير من وسائل الإعلام المحلية والدولية الوضع الوبائي في الجزائر بالخطير، خصوصاً أن هناك نقصاً في مادة الأكسجين لمعالجة الحالات الخطرة، وهو ما يشكل إرجاءاً للحكومة المهمة بسوء إدارة الأزمة.

وحسب خبراء في الصحة، تواصلت معهم فرانس برس وفضلوا عدم الكشف عن أسماؤهم، فإين "الإنتاج الصناعي للأكسجين الطبي في الجزائر يغطي إلى حد بعيد الحاجات الاستشفائية بما في ذلك الحاجات التي تستجد في فترات تفشي كورونا. وأضافوا "إلا أن التورنات (في الإمداد) ناجمة عن سوء إدارة شبكة التوزيع وقلة الاستباق مقارنة

في عدد الإصابات بكوفيد -19 ونقصاً في الأكسجين. ودعت السلطة في بيان مساء الأربعاء المسؤولين عن محطات التلفزيون إلى "الاضطلاع بمسؤولياتهم الاجتماعية

الجزائر - حثت سلطة ضبط السمعي - البصري في الجزائر وسائل الإعلام على "عدم التركيز المفرط على الأخبار السلبية" في تغطيتها للأزمة الصحية، في وقت تشهد فيه البلاد ارتفاعاً حاداً

في عدد الإصابات بكوفيد -19 ونقصاً في الأكسجين. ودعت السلطة في بيان مساء الأربعاء المسؤولين عن محطات التلفزيون إلى "الاضطلاع بمسؤولياتهم الاجتماعية

في عدد الإصابات بكوفيد -19 ونقصاً في الأكسجين. ودعت السلطة في بيان مساء الأربعاء المسؤولين عن محطات التلفزيون إلى "الاضطلاع بمسؤولياتهم الاجتماعية

في عدد الإصابات بكوفيد -19 ونقصاً في الأكسجين. ودعت السلطة في بيان مساء الأربعاء المسؤولين عن محطات التلفزيون إلى "الاضطلاع بمسؤولياتهم الاجتماعية

## قناة الجزيرة القطرية صنعت نماذجها من بينهم راشد الغنوشي بوصفه الحجر العميقة ومجتمع للمفارقة أن الغنوشي بعد الإفطحة به عبر عن استيائه من وسائل الإعلام وحملها مسؤولية ما حصل

ويشير مصطلح "وسائل الإعلام الرئيسية" أيضاً إلى ما يجمع كل أنواع الصحافة ككيان واحد شري. كما كتب جونانان إم لا في كتابه "لماذا يكره الأميركيون الإعلام" فوجد مؤسسة إخبارية مستقلة ووقوية ومحترمة على نطاق واسع هو شذو تاريخي، وفق لا.

اليوم تستخدم قنوات إخبارية عربية مموله من قبل الحكومات الخليجية، نزيعة أنها وسائل إعلام رئيسية والأكثر مشاهدة لتبرير تجاوزاتها. وحقيقة الأمر - لسوء حظ الجوهري المثالي للصحافة والجمهور - أن مثل هذا الواقع موجود في الولايات المتحدة ودول ديمقراطية عندما يتعلق الحال بقنوات إخبارية كبرى.

فقد وجدت دراسة حديثة أجريت لحساب مشروع "ميديا إنسايت"، انقساماً في القيم التي تتبناها الصحافة وعلاقتها بالجمهور، فبدلاً من عدم الثقة بوسائل الإعلام التي ترتبط بمفهوم التحيز الحزبي، فإن المشكلة قد تكون في قلب أزمة الثقة بوسائل الإعلام، وتنتج الشكوك نحو الهدف الأساسي والمهمة التي يحاول الصحافيون تحقيقها في

هذا الأمر جعل الجمهور يتارجح بين انصاف الحقائق، مع طريقة الاشتراك في قنوات الكابل، وهو نوع من شراء ما نراه حقائق نرغب فيها دون غيرها، لأن لا أحد يدفع مالا مقابل الأكاذيب، وإلا لم دفننا مالا مقابل مشاهدتها؟

ويتوفر لدينا أكثر من ذلك متمثلاً بوكالات الأنباء وريترز ووكالة الصحافة الفرنسية وأسوشيتدبرس، بوصفها المصدر الأول في الصناعة الإخبارية والأكثر حساسية وعالية المسؤولية. لكن من البساطة بمكان لأي متلق أن يضع فلاة أخبار من تلك الوكالات تنقل ما حدث في تونس هذا الأسبوع ليكتشف أن انصاف الحقائق سائدة بطريقة تكسر المبادئ المعلنة لهذه المؤسسات الإخبارية الكبرى.